بسم الله الرحمن الرحيم

عنوان المداخلة: الحديث النبوي وآلياته في تقويم السلوك في مقام التواصل الاجتماعي

الأستاذ: عبد المطلب بوغرارة
/ أستاذ محاضرأ بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
الهاتف: 0671981619

البريد الإلكتروني:
abourabab1400@gmail.com

ملخص المداخلة:

اقتضت حكمة الرب سبحانه في هداياته لخلقه أن يرسل إلهم الرسل في سبيل كفالة ذلك القصد الرباني، ولما كان الإنسان مخلوقا مخصوصا بمميزات عن سائر الخليقة، فهة متميز بالقعل تلك القوة التي ارتقت به إلى مرتبة السيادة على بقية الكائنات ولأجل ذلك صارت مسخرة له لكرامته على الله ، ومما يميز الإنسان كذلك طابعه الاجتماعي ومن هذا المنطلق فقد جبلوا على قيم ومبادئ ضمن نسقي الحرية والمسؤولية ، ولأجل تلكم الاعتبارات وغيرها جاءت التشريعات السماوية مؤطرة لهذه القيم وترسيخها وتأسيسها لغرض الحفاظ على سيادة الإنسان الرشيدة للكون.

ومعلوم أن الحديث النبوي في حيز كبير من نصوصه يقود إلى فهم وتنظيم الأسس في التواصل الاجتماعي تأسيسا وتحديدا بحسب واقع الإنسان الذي يفرض إشكاليات ومسائل مستجدة عالقة تنتظر حلولا.

وهذه الورقة المقدمة لهذا الملتقى وفي محور من محاوره ألا وهو: قصدية الخطاب النبوي الشريف وأبعادها الزمانية والمكانية، جاءت لتعالج إشكالية المنهج الخطابي النبوي الخاص ببناء التواصل الاجتماعي، وما هي مظاهر مساهمته في هذا المقام، ثم كيف كانت معاني النصوص النبوية مراعية ترسيخ وتأسيس القيم، ثم رعايتها في المجتمع الإنساني مع مراعاة التغير الزماني والتحول المكاني؟

الملخص بالإنجليزية:

The wisdom of the Lord, glory be to Him, in His gifts to His creation necessitated that God send messengers in order to ensure that divine purpose, and since man is a special creature distinguished from the rest of creation, he is distinguished by the power that elevated him to the rank of dominance over the rest of the beings and for that reason it became a subject to him for his dignity over God What distinguishes man as well is his social nature, and from this point of view, they have built values and principles within the frameworks of freedom and responsibility, and for these and other considerations, the

heavenly legislation framed these values, consolidated and established them for the purpose of preserving the rational human sovereignty of the universe.

It is known that the Prophet's hadith in a large part of its texts leads to understanding and organizing the foundations of social communication, foundation and renewal according to the reality of the human being, which poses problems and emerging issues that await solutions.

This paper presented to this forum and in one of its interlocutors: the intentionality of the honorable prophetic discourse and its temporal and spatial dimensions, came to address the problem of the prophetic rhetorical approach to building social communication, and what are the manifestations of its contribution in this regard, then how were the meanings of the prophetic texts taking into account the consolidation and establishment of values. Then nurturing it in the human society, taking into account the temporal change and the spatial transformation?

المداخلة كاملة الحديث النبوي وآلياته في تقويم السلوك في مقام التواصل الاجتماعي

أولا: سمات الحديث النبوي البلاغية:

بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن بدعا من الأمر كيف وهو الذي نشأ في بادية بني سعد وفيها أُسترضع، وكبُر بمكة مركز البيان العربي وحاضرته، وقد تهيَّأ للغتها ما جعلها جديرة أن يُنزَّل بها كتاب الله عزوجل، وإنما ازداد جلاؤها وسما بعد أن اصطفى الله محمداً نبيًّا خاتما أتاه جوامع الكلم [ومعناه كما قال الزهري: قال الزهري: معناه: أنه كان صلى الله عليه وسلم يتكلم بالقول الموجز، القليل اللفظ، الكثير المعاني .][1]

وإنما أوتي ذلك لأن البيان ضرورة للدعوة والداعية " ولما للبيان والتبيين من أثر في الدعوة والداعية طلب موسى عليه السلام من الله تعالى أن يرسل معه أخاه هارون وزيرا، لأن هارون أفصح منه لسانا، وأقوى بيانا"[2]

ولأجل هذه الخصيصة التي منحت له عليه الصلاة والسلام أطبق العلماء على الإشادة بالبلاغة النبوية، قال الجاحظ في توصيف كلام النبي صلى الله عليه وسلم وميزاته البلاغية: " وهو الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجلّ عن الصنعة، ونزّه عن التكلف، ... واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة، وشيد بالتأييد، ويسر بالتوفيق. وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الأفهام، وقلة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته.

لم تسقط له كلمة، ولا زلت به قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبذّ الخطب الطوال بالكلام القصار، ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتج إلا بالصدق، ولا يطلب الفلج إلا بالحق، ولا يستعين بالخلابة، ولا يستعمل المواربة، ولا يهمز ولا يلمز، ولا يبطئ ولا يعجل، ولا يسهب ولا يحصر. ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا، ولا أقصد لفظا، ولا أعدل وزنا، ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحوى، من كلامه صلّى الله عليه وسلّم كثيرا" وهذه الفقرة الجاحظية كفيلة أن تُستشرح في المجلدات الطوال لأنها اختصرت كلام طويلا، ومعاني مسهبة من جهة ذكر خصائص الألفاظ النبوية والمعاني، والآثار على متلقيها ومزاولها،

([1]) – فتح الباري لابن حجر (13/ 247)

([2]) – من بلاغة الحديث الشريف، عبد الفتاح لاشين، (ص14)

أما أبو حيان التوحيدي تلميذ الجاحظ والكِلِفُ بكلام النبوة فنجده يسِمُهُ بقوله: " وهو الكلام الذي قد بان عليه النور، وأيّد بالبرهان، واستخلص من حق التقوى، يجمع لك الأدب والتأديب، ويدلّك على الصّلاح والتسديد" [3]، فها هو ذا التوحيدي ينبه على أن كلام النبوة إنما يدلُّ بنفسه على نفسه ويحمل حجته في تلابيبه فالملاحة إزاره والحلاوة رداؤه.

أما الرافعي الذي قد وقف واستوقف عند بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم ينعت هذا الحديث الكريم بقوله: " **هذه هي البلاغة الإنسانية التي سجدت الأفكار لآيتها، وحسرت العقول دون غايتها، لم تُصنَع وهي من الإحكام كأنها مصنوعة، ولم يُتكلف لها وهي على السهولة بعيدةَ ممنوعة.**

ألفاظ النبوة يعمرها قلبَ متصلَ بجلال خالقه، ويصقِلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه، فهي إن لم تكن من الوحي ولكنها جاءت من سبيله وإن لم يكن لها منه دليل فقد كانت هي من دليله، ... وتجيء بالمجاز الغريب فترى من غرابته أنه مجاز في حقيقة. وهي من البيان في إيجاز تتردد فيه " عَينُ " البليغ فتعرفه مع إعجاز القرآن فرعين؛ فمن رآه غير قريب من ذلك الإعجاز فليعلم أنه لم يلحق به"[4]

فتأمل وصفه رحمه الله لدنو بيان النبوة ببيان القرآن وإن كانت دونه لأنها صاقلها ومسارها من سبيله،

"وقد حوت أحاديث الرسول، صلى الله عليه وسلم، صنوف البلاغة، وألوان الجمال والفصاحة، وكانت من أبرز مظاهر عظمته، وأبرز دلائل نبوته، وعبرت أدق تعبير عن سمو نفسه، صلى الله عليه وسلم، وأبانت عن المنبع العذب الذي نهلت منه. وقد تبارى العلماء والبلغاء في وصف فصاحته، وما امتاز به كلامه، صلى الله عليه وسلم، من جمال وبلاغة جعلته يتربع على قمة الأساليب البشرية"[5]

ثانيا: التواصل الاجتماعي ضرورة بشرية:

لما كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصا على انتظام أمر النّاس وصلاح أحوالهم، ولا يكون هذا إلاّ بتأطير التّواصل الاجتماعي وتنظيمه لتستقيم العلاقات الإنسانية، إنه سهل إلى تلكم المقاصد والمراشد بأفعاله وأقواله ما كان ظاهرا دنيا.

فالتواصل الاجتماعي فهو مطلب ملحٌّ للمجتمعات البشرية على اختلاف مشاربها وأفكارها، ولما كانت بعثة النبي صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين كان من الضروري أن تتجلى عناية السنة بهذا المطلب والعمل على إحكام نسجه عموما على مبادئ الاحترام والعدل والمساواة وخصوصا على المحبة والتآزر والنصرة ونحو ذلك من القيم العاملة في حقل التواصل الاجتماعي.

إن مفهوم التواصل في المنظور الإسلامي يشير إلى التفاعل الإيجابي النابع من رغبة صادقة في خلق التفاهم مع الآخر، وهو المنطلق للوصول إلى الحق باستعمال واس التواصل، فقول الله تعالى:ﭐ □ □ □

([3]) – البصائر والذخائر (7/ 204)

(4) – إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي (ص: 193)

(5) – ينظر المقال على الشبكة للدكتورة مليكة حفان بعنوان : الخصائص الجمالية في الحديث النبوي الشريف

□ □ بر □ □ بن بى بيتر □ □ تن تى تي□ □ □ □ □ □ ّ [الحجرات: ١٣]، يستفاد منه بتذكير الناس بوحدة أصلهم وهو ما يسهل عليهم عملية التواصل"[6]

فالتواصل ضرورة بشرية يتوقف نجاحها على جملة من المهارات كان للنصوص الشرعية النصيب الأوفر في بيانها وإجلائها للناس، وهذه جملة صالحة من النماذج النبوية الدالة على ذلك:

ثالثا: نصوص نبوية في التواصل الاجتماعي:

حديث النبي صلى الله عليه وسلم في جانب التواصل اجتماعي حديث مقصدي أبدأ فيه وأعاد لوَّن فيه الخطاب وشقق فيه الأبواب، ويمكن تناوله من زوايا واعتبارات متباينة ولعلنا نختار تناوله صلى الله عليه وسلم باعتبار التواصل العام والخاص على النحو الآتي:

1 التواصل العام:

1.1 مع المسلمين:

أولى الناس ببذل التواصل والوصل المؤمن لأن دواعي ذلك متكاثرة وفي مقدمها العقيدة التي تعدُّ أولى ما يتواصل يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "المؤمن مألفةٌ ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف" [7]، «وكأنه أراد بهذا أن المؤمن يفزع إليه ويقتبس منه. وهذا الخبر يمنع من الاعتزال والتفرّد وإن كانت السّلامة في الغالب فيهما، لأنّه لا يألف حتى يخالط، وكل هذا منافٍ للتعزّب والانقطاع عن الناس، والحكمة أيضاً في نظام العالم تقتضي معونة كلّ من لبس قميص الحياة خاصةً إذا كان شريكك في الصورة، أعني إذا كان قريباً منك: إمّا بالنّسب وإما بالأدب وإما بالبلد وإما بالصّناعة وإما بالتّخطيط وإما بالمشابهة، ولهذا السرّ يتعصّب هذا لأهل بلده وأرباب صناعته وبني جنسه، ويستدعي أيضاً عونهم لنفسه»[8]

وقال عليه السلام: "المؤمن مرآة المؤمن"[9] ؛ «دلّ بهذا على أن المؤمن ينظر إلى أخيه فيقوّم نفسه به، وكذاك ذاك مع أخيه، وكأنهما يتواعظان ويتواصيان، وهذا كلامٌ جامعٌ لخير الدنيا والآخرة. وقد دلّ على الألفة، لأن الفارد لا مرآة له»[10].

وقال عليه السلام: " المؤمن من أمنه الناس"[11]، ؛ «هذا وصفه لمن كان الإيمان لبوسه، والتوحيد عقيدته، والزهد في الدنيا قاعدته، وكأنّما أخذ هذه الصفة من اللفظ، لأنّ من أمن الناس أمنوه، أي إذا لم يخفهم لم يخافوه، وعلى هذا يؤخذ من الأمن، وكأنّ الأمن من الإيمان، والباب فيهما واحد» [12].

---

(6) – التواصل الاجتماعي أنواعه – ضوابطه – آثاره – ومعوقاته – دراسة قرآنية موضوعية، مذكرة ماجستير إعداد الطالب : ماجد رجب العبد سكر. (ص: 4)

(7) – أخرجه احمد في مسنده برقم : 22840 من حديث سهل بن سعد الساعدي

(8) – البصائر والذخائر (7/ 205)

(9) – سنن أبي داود ت الأرناؤوط (7/ 279)

(10) – البصائر والذخائر (7/ 208)

(11) – مسند أحمد مخرجا (20/ 30) برقم: 12561

(12) – البصائر والذخائر (7/ 210)

وقال صلّى الله عليه وآله:" حسن العهد من الإيمان "[13]؛ قال هذا في امرأةٍ كانت تغشاه في منزل عائشة، فكأنها وجدت في نفسها من ذلك. فقال عليه السلام: " إن هذه كانت تأتينا أيام خديجة، وإنّ حسن العهد من الإيمان " «دلّ بهذا القول على حفظ الحالة السالفة ومراعاة من شوهد، وحثّ أيضاً على جميع ما كان موصولاً به قريباً منه، لأن اللفظ مطلقٌ إطلاقاً، وفي ضمنه إيضاحٌ عن حسن الخلق»[14].

وقال صلّى الله عليه وآله: " الدّالّ على الخير كفاعله "[15]؛ «هذا حثٌّ على الخير وتشبيهٌ لمن وطّأ الطريق إليه ودلّ الطالب عليه بمن تفرّد بفعله، واشتراك بين من دلّ وبين من قبل ليقع التعاطف، ويعمّ التلاطف، وليكونوا كنفس واحدة.... وإنما صحّ التشبيه لأنّ الدلالة من الدالّ على الخير خيرٌ، وقبول الدلالة من القابل خير، فكأنّ هذا بمّا دلّ وهذا بما قبل فاعلان خيراً» [16]

وقال: " تجافوا لذوي الهيئات عن زلاّتهم "[17]، ويروى أيضاً: "لذوي الهبات"؛ فكأنه جاز هذا فيهم لأنّ ذوي الهبة هم أصحاب الزي والمروءة، وزلاّتهم لا تكون ديدناً لهم، إنما يعتريهم الذّنب الفينة بعد الفينة، أي زماناً بعد زمان، ليس المنكر من شأنهم ولا القبيح من أخلاقهم، وإنما يلحقهم ما يلحقهم للبشرية، ولهم أحسن رجعةٍ وأفضل إقلاع وأجمل إنابة؛ فأمر صلّى الله عليه أن يتجافى لهم عن زلاّتهم لحالهم النائبة عن حال غيرهم[18]

2.1 مع غير المسلم:

مع أن الإسلام جاء بما يختص به من عقائد وشرائع، فإنه جاء متاحا للبشرية جمعاء على خلاف ما كانت عليه الديان قبله إذ كانت تختص بمن يأتي فيهم النبي من قومه، اما رسالة محمد عليه الصلاة والسلام فهي رسالة عامة وللناس كافة، وهذا ما جعل في هذا الدين من خصائص التواصل ما ليس في غيره.

ومن أولى الناس من غير هذا الدين بالمعاملة والتواصل أهل الكتب السابقة من اليهود والنصارى الذين ألفوا عادة الله في إرسال الرسل وإنزال الكتب، فكان لهم من الخصائص في التواصل ما ليس لغيره يقول تعالى:ﭐﱡ□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ﱠ [المائدة: ٥]، ويقول النبيّ – صلى الله عليه وسلم –: "مَن قتَلَ نَفْساً معاهَداً لَم يَرَحْ رائحةَ الجنةِ، وإنَّ ريحَها يُوجَدُ مِن مسيرةِ أربعينَ عاماً"[19]، وفي رواية أبي داود عن أبي بكرةَ، قال: قال رسولُ الله –صلَّى الله عليه وسلم–: "مَنْ قتلَ مُعَاهِداً في غير كُنْهِهِ حَرَّمَ الله عليهِ الجنةَ"[20] ، وفي رواية عنده: " قال: "ألا مَن ظَلم مُعاهِداً أو انتَقصَهُ أو كلَّفَهُ فوقَ طاقَتِه أو أخَذ منهُ شيئاً بِغيرِ طِيبِ نَفسٍ فأنا حَجِيجُهُ يوم القيامةِ"[21]

---

(13) – مختصر صحيح الإمام البخاري (4/ 66)

(14) – البصائر والذخائر (7/ 211)

(15) – مسند أحمد مخرجا (37/ 44)، برقم: 22360

(16) – البصائر والذخائر (7/ 219)

(17) – مكارم الأخلاق للطبراني (ص: 334)، برقم: 62، بلفظ : «تَجَافَوْا عَنْ عُقُوبَةِ ذِي الْمُرُوءَةِ، وَهُوَ ذُو الصَّلَاحِ»

(18) – البصائر والذخائر (7/ 287)

(19) – مختصر صحيح الإمام البخاري (2/ 373)

(20) – سنن أبي داود ت الأرناؤوط (4/ 389)

(21) – سنن أبي داود ت الأرناؤوط (4/ 658)

وفي قضية السفراء ورسل الملوك جاء عن سلمةَ بن نُعيمِ بن مَسعودٍ الأشجعيّ عن أبيه نعيم، قال: سمعتُ رسولَ الله –صلَّى الله عليه وسلم– يقول لهما حين قرأ كتابَ مُسيلمةَ: "ما تقُولانِ أنتُما؟ " قالا: نقولُ كما قال، قال: "أما واللهِ لولا أنَّ الرُّسلَ لا تُقتَلُ لضربتُ أعناقَكُما"، [22]

2. التواصل الخاص:

التواصل الخاص هو أوثق التواصل وألزمه لأنه يتعلق بمن عظمت حقوقهم من ذوي الأرحام والقرابات والجيران ونحوهم ممن يتأكد التواصل معهم ويتحتم

1.2: الأرحام

الرحم من الحقوق التي تكاثرت فيها نصوص الشريعة إلى حد لافت مما يدلنا على حتمية صلتها وحرمة قطيعتها ولأجل ذلك كان بلاغ النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الأمر بعبارات متباينة وفي مناسبات مختلفة، والرحم من جهة صلتها على مرتبتين يقول القرطبي: «الرحم التي توصل عامة وخاصة، فالعامة: رحم الدين. وتجب مواصلتها بالتوادد، والتناصح، والعدل، والإنصاف، والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة. وأما الرحم الخاصة: فتزيد النفقة على القريب، وتفقد أحوالهم، والتغافل عن زلاتهم، وتفاوت مراتب استحقاقهم في ذلك»[23]. وهذه نماذج من أقوله عليه الصلاة والسلام:

ففي الحديث يقول عليه الصلاة والسلام: " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «أَنَا الرَّحْمَنُ، وَهِيَ الرَّحِمُ، شَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنَ اسْمِي، مَنْ يَصِلُهَا أَصِلُهُ، وَمَنْ يَقْطَعُهَا أَقْطَعُهُ، فَأَبُتُّهُ»[24]، وعن أبي هريرة: أن رجلاً قال: يا رسول الله – صلي الله عليه وسلم –، إن لي قرابةً أصلهم ويقطعون، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ، وأحلم عنهم ويجهلون علي، قال: "لئن كنت كما تقول فكأنما تسفهم الملَّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم، ما دمت على ذلك"[25] عن أبي هريرة قال: لما نزلت هذه الآية {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} دعا رسول الله –صلي الله عليه وسلم – قريشاً فعم وخص، فقال: "يا معشر قريشَ أنقذوا أنفَسكم من النار، يا معشر بني كعب بن لؤي انقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني عبد مناف انقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمَّد أنقذي نفسك من النار، فإني والله ما أملك لكم من الله شيئاً، إلا أن لكم رحماً سأبلها ببلالها"[26]

2.2: الجوار:

ومما يتلاحم به الناس ولا يجدون عنه مندوحة الجوار، فلما كان الإنسان اجتماعيا بطبعة لم يكن له بد من مساكنة الإنسان، فيكون بذلك الجوار، ولكونه دائما ومستمرا كان ذلك مظنة لوقوع التقصير لما جبل عليه

---

(22) – سنن أبي داود ت الأرناؤوط (4/ 389)

(23) – الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية ومعه النفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية (ص: 71)

(24) – مسند أحمد مخرجا (16/ 286) ، برقم : 10469

(25) – مسند أحمد ت شاكر (8/ 111)

(26) – مسند أحمد ت شاكر (8/ 400)

الإنسان من الظلم والجهل والضعف، فجاءت الأحاديث النبوية متكاثرة في الإرشاد لرعاية هذا الحق العظيم، ومن بين ما جاء في ذلك:

عن أبي هريرة رضيَ الله عنه عن النبيّ – صلى الله عليه وسلم – قالَ: "يا نساء المسلمات! لا تَحْقِرَنَّ جارةٌ لجارَتِها؛ ولو فِرْسِنَ شاةٍ"[27]: بكسر الفاء وسكون الراء وفتح السين المهملة هي قطعة لحم بين ظلفي الشاة، والفرسن للبعير ويستعار للشاة، وهو كالقَدَم للإنسان.

عنْ أَبِي شُرَيْحٍ أَنَّ النبيَّ – صلى الله عليه وسلم – قالَ: "واللهِ لا يُؤْمِنُ، واللهِ لا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لا يُؤْمِنُ". قيلَ: وَمَنْ يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: "الَّذِي لا يأْمَنُ جارُهُ بَوائِقَهُ"[28]: البوائق الغوائل والدواهي، أي: من لا يؤمن شره ولا مضرته.

عن عائِشَةَ رضي اللهُ عنها عنِ النبيّ – صلى الله عليه وسلم – قالَ: "مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ؛ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّه سَيُوَرِّثُهُ"[29]: أي: «يأمرني بأنه وارث عن أمر الله، قيل: بأنه يحصل له مشاركة في المال بفرض منه بعطائه مع الأقارب وفيه رعاية حقه بعد الموت والجار يعم العدل والفاسق والقريب والبعيد ثم هم مراتب فجار الدار الملاصق أعظم حقا من البعيد وجار المخالطة في مسجد أو سوق حقه دونهما ونحو ذلك فيجب رعاية حقه وأهم الحقوق تعليمه الشرائع ومناصحته في دينه» [30]

3.2. الشركة:

ومن مظاهر الترابط بين الناس رباط الشركة فإن الإنسان في كثير من الأحيان لا يقوى على أعماله إلا بالمعاونة، ومما تتشكل في المعاونة من المظاهر مظهر الشركة وهي أنواع كثيرة ولها احكام تناسب أنواعها، وقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم في مناسبات مختلفة إلى هذا الحق وألزم برعايته وصيانته، فمن ذلكم قوله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – منبها إلى شركة عامة واقعة بين الناس: "الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ: فِي الْمَاءِ وَالْكَلَأِ وَالنَّارِ، وَثَمَنُهُ حَرَامٌ"[31]: والمراد بالماء المياه التي لم تحدث باستنباط أحد وسعيه، كماء القني والآبار ولم يحرز في إناء أو بركة أو جدول مأخوذ من النهر. وبالكلأ ما ينبت في الموات، والمراد من الاشتراك في النار، أنه لا يمنع من الاستصباح منها والاستضاءة بضوئها، لكن للمستوقد أن يمنع أخذ جذوة منها، لأنه ينقصها ويؤدي إلي إطفائها. وقيل: المراد بالنار الحجارة التي توري النار، لا يمنع أخذ شيء منها إذا كانت في موات[32]

عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: "مَنْ كَانَتْ لَهُ نَخْلٌ أَوْ أَرْضٌ، فَلَا يَبِعْهَا حَتَّى يَعْرِضَهَا عَلَى شَرِيكِهِ"[33]

---

(27) – مختصر صحيح الإمام البخاري (2/ 182)

(28) – مختصر صحيح الإمام البخاري (4/ 69)

(29) – مختصر صحيح الإمام البخاري (4/ 68)

(30) – التنوير شرح الجامع الصغير (9/ 397)

(31) – سنن ابن ماجه ت الأرناؤوط (3/ 528)

(32) – شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (7/ 2220)

(33) – سنن ابن ماجه ت الأرناؤوط (3/ 543)

4.2: الصداقة والصحبة:

العلاقة الإنسانية التي تربط اثنين أو أكثر من النّاس معاً، وتكون مبنيّةً على الاحترام المتبادل والمودّة والصّدق والأمانة، وتميل غالباً في الاهتمامات والنشاطات والسلوكيات المشتركة بين الأشخاص، تسمى الصداقة والصحبة، وهي سلوك إيجابي جاء الأحاديث النبوية على التنويه به والإرشاد إلى قيامه على الانتقائية في استمراره ليقع بها النفع العاجل والآجل، ومن أشهر أحاديث الصحبة حديث أبي موسى رضي اللهُ عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم –: "مَثَلُ الجَلِيسِ الصالحِ والجَليسِ السُّوءِ؛ كمثَلِ صاحِبِ المسكِ، وكِيرِ الحدَّادِ، لا يَعْدَمُكَ من صاحِبِ المِسْكِ؛ إما تشتريهِ، أو تَجِدُ ريحَهُ، وكيرُ الحدَّادِ، يُحرِقُ بدَنَكَ، أو ثوبَكَ، أو تَجِدُ منهُ ريحاً خَبيثَةً، (وفي روايةٍ: فحاملُ المِسكِ؛ إما أن يُحْذِيَكَ، وإمَّا أن تبتاعَ منه، وإما أن تَجِدَ منه ريحاً طيبةً، ونافخُ الكِيرِ؛ إما أن يُحْرِقَ ثيابَكَ، وإما أن تجدَ ريحاً خبيثةً"(34)

وستأتي في الورقة وقفات مع هذا الحديث النبوي الكريم.

3: آليات الخطاب النبوي [الإفرادية – التركيبية – التصويرية]

امتاز الخطاب النبوي كأسلوب إبلاغي إقناعي دعوي بجملة من الميزات لاتي جعلت منه كلاما حائزا على خصوصية بلاغية راقية، لا يفوقه من البلاغة إلا القرآن الكريم، وتوزعت تلك الميزات على عدد من الجهات منها:

1.3 من الجهة الإفرادية:

ألفاظ الحديث في باب التواصل خصوصا في كثير من الأبواب يهيمن عليها حقلان معجميان؛ الأزل: حقل ألفاظ الترغيب [الصلة، الرحمة، الحقوق، ...]، وحقل ألفاظ الترهيب [القطيعة، اللعن، الغضب، ....]، وتجاور هذين الحقلين يعطي الحديث سعة دلالية تستفاد من جهة المفارقة التي تعد مكونا جماليا ممدا المخاطب تأثير باستجلاب ذهنه ومشوقا إلى لطافة تلك المفارقة.

ففي حديث: " **أَنَا الرَّحْمَنُ، وَهِيَ الرَّحِمُ، شَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنَ اسْمِي، مَنْ يَصِلُهَا أَصِلُهُ، وَمَنْ يَقْطَعُهَا أَقْطَعُهُ، فَأَبَتُّهُ**" في لفظة الرحم، ولفظة أقطعه فأبتُّه" ومعنى شققت لها من اسمي: «أي: أخرجت، وأخذت لها اسمًا من اسمي الرحمن، فلها به علقة»[35].

ومن عجيب هذا الحديث أن فيه إشارة إلى قضية اصطلاحية وهي قضية الاشتقاق في اللغة العربية، وقد نبه على ذلك الخطابي في قوله: «في هذا بيان صحة القول بالاشتقاق في الأسماء اللغوية وذلك أن قوما أنكروا الاشتقاق وزعموا أن الأسماء كلها موضوعة وهذا يبين لك فساد قولهم؛ وفيه دليل على أن اسم الرحمن عربي مأخوذ من الرحمة وقد زعم بعض المفسرين أنه عبراني» [36]

([34]) – مختصر صحيح الإمام البخاري (2/ 35)

(35) – الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية ومعه النفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية (ص: 71)

(36) – معالم السنن (2/ 83)

بل أخذ منه صاحب العرف الشذي إلى ان الحديث أصل في القول بتوقيفية اللغة فقال: «اعلم أنهم اختلفوا في واضع اللغات، وقيل: إن الواضع هو الله تعالى ويفيدهم حديث الباب» [37].

وأما قوله " فأبُتُّه": هو مثل ما جاء في الحديث: " «فَإِنَّ المُنْبَتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْراً أَبْقَى» يُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا انْقُطِعَ بِهِ فِي سَفَرِهِ وعَطِبت راحلتُه: قَدِ انْبَتَّ، مِنَ البَتِّ: القَطْع» [38]، وهذه اللفظة جيء بها لتأكيد وعيد القطع الذي توعد به الله سبحانه وتعالى كل قاطع لرحمه على سبيل الترهيب.

ولفظة الحذاء التي وردت في حديث الجليس الصالح، قال الزمخشري: «الإحْذاء: الإعطاء والحَذَّية والحُذْيا: العطية» [39]، وهذه اللفظة في هذا السياق تصنع استعارة إذ إن بائع المسك يحذيك من عطره، بمعنى يقطع لك منه، وقد استعير المعنى الحسي للمعنى المعنوي، وصنعت هذه الصورة بهذه اللفظة التي اختارها النبي صلى الله عليه وسلم لهذا المعنى، تقريبا له وأن الجليس الصالح دائما العطاء وعلى كل حال متى دنى منه صاحبه.

2.3 من الجهة التركيبية

ما يقال في التراكيب النبوية في مجال التواصل الاجتماعي أنها جاء متنوعة وبليغة غاية البلاغة، لأنها تعتني بأمر بالغ الخطورة ينبغي أن يقع فيه البيان على أكمل وجه وأتمه، ولعله من الحسن أن نقه على بعض ذلك، ففي قولها عليه الصلاة والسلام في معرض الحث على صلة الأرحام وحرصه هو نفسه على ذلك قال عن قومه :" إلا أن لكم رحماً سأبلها ببلالها": ومعنى الحديث: «سأصلها، شبهت قطعتها بالحرارة تطفأ بالبرد والماء وتندى بالصلة. ومنه: "بُلُّوا أَرْحَامَكُمْ" أي: صِلوها» [40].

ومن الجهة الصرفية جاءت الجمل الحديثية في باب التواصل الاجتماعي بين الفعلية المفيدة للتجدد والحدوث، وبين الاسمية المفيدة للثبوت والدوام، وذلك لما تقتضيه السياقات تستديه من مناسبة للجمل، ففي قوله عليه السلام: " "لَيْسَ الوَاصِلُ بالمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الواصِلُ الَّذي إِذا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَها": هذه الجمل الاسمية في الحديث جاءت لبيان المعنى الثابت والمتحقق للواصل على وجه الثبوت والدوام وهو أن الصلة في حقيقتها لست قائمة على مكافئة الصلة، وإنما هي قائمة على صلة القاطع من باب قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: ٣٤]

وفي قوله عليه الصلاة والسلام: " فلا يبيعها حتى يعرضها على شريكه" فهي على سبيل التجدد والحدوث فكلما أراد شريك البيع كان لازما عليه ان يبدأ العرض على شريكه لأنه أحق بالشُّفعة من غيره.

3.3 من الجهة التصويرية

مثل الجليس الصالح:

الحديث يتضمن تمثيل صورة ذهنية بصورة حسية من البيئة الصناعية والتجارية التي كانت أغلب مزاولات العرب حينذاك، وبعفوية لا تكلف فيها ولا إسراف ولا إسفاف

---

(37) – العرف الشذي شرح سنن الترمذي (3/ 310)

(38) – النهاية في غريب الحديث والأثر (1/ 92

(39) – الفائق في غريب الحديث و الأثر (1/ 443)

(40) – مطالع الأنوار على صحاح الآثار (1/ 496)

«وإياك ومجالسة الأشرار فإن طبعك يسرق منهم وأنت لا تدري وليس إعداء الجليس جليسه بمقاله وفعاله فقط بل وبالنظر إليه فإن النظر إلى الصور يؤثر في النفوس أخلاقاً مناسبة لخلق المنظور إليه فإن من دامت رؤيته للمسرور سر ومن دامت رؤيته للمحزون حزن وليس ذلك في الإنسان فقط بل في الحيوانات والجمادات فالجمل الصعب يصير ذلولاً بمقارنة المذلول، والريحانة النضرة تصير ذابلة بمجاورة الذبلة ولذا يلفظ أهل الزراعة الذابل من الزرع لئلا يفسد الصالح منه»[41]

4.3 من الجهة الدلالية:

إن أهم مقصد يتجه إليه الحديث النبوي هو رعاية الأبعاد الدلالية، وهي أهم ثمرة تطلب من البيان النبوي لأنه وظيفة البلاغ، ولئن كان في المفردات والتراكيب والتصوير جماليات ظاهرة، فإن الأبعاد الدلالية أجل قدرا أشد تأثيرا.

وفي باب التواصل الاجتماعي فغن البيان النبوي يرنو إلى تحقيق جملة من الأبعاد منها:

البعد الديني، وهو بعد ظاهر ملموس في هذا الجانب إذ إن التواصل الاجتماعي مدعاة للمخالطة التي تقوم على الوفاء أو التقصير في حقها فجاءت الأحاديث النبوية

والبعد النفسي، وذلك من جانب الأثر الذي يتركه قارئ الحديث في نفسيته من الشعور بالمسؤولية تجاه هذا التواصل على تغاير واختلاف تعلقاته العامة والخاصة

والبعد الاجتماعي، فالحديث النبوي عمل على تقوية الوشائج الاجتماعية مستعملا أسلوبي الترغيب والترهيب لحمل المكلفين على القيام بهذا العبء الشرعي

والبعد الحضاري، فيتجلى في سعة الدين وقدرته العالية على الارتباط بالواقع الاجتماعي وحياة الإنسان، فحين يدعو الحديث النبوي الناس إلى التراحم «فرحمة الناس تكون بمساعدة المحتاجين منهم للحصول على مبتغاهم وتحقيق أهدافهم، وإيوائهم وتوفير الأمن لهم، وحمايتهم من المخاطر ولسعات البرد، ومداواة المرضى وعلاجهم في المستشفيات، لأن المرض يحرم الإنسان من الأمن النفسي، الشيء الذي يقحمه في موقف يحتاج فيه إلى من يعطف عليه ليرفع عنه الألم الحسي أو المعنوي»[42]

خاتمة

لقد أعطت كلّ هذه المبادئ التي دعا إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم هيبة وسلطة للنّص النبوي تجلّت في منطقيته وقدرته على البرهنة، ففي أسلوب الحجاج يقترن قصد التوجيه بقصد التأثير والتقويم الأخلاقي المرتبط بالعمل الصّالح، لأنّ الخطاب الحامل للموعظة والإصلاح لا ينبغي أن يخلو من استدلال وفق منطق الرّفق والتّأدب نحو المخاطب.

([41]) – التنوير شرح الجامع الصغير (9/ 522)

([42]) – ينظر مقال: البعد الحضاري في الكلمة النبوية، للكاتب: جمال أيت بوجمعة، على الرابط : https://www.islamanar.com/la-civilisation-dans-le-mot

وهو في كلّ ذلك يؤسّس لبناء التّواصل الاجتماعي وترسيخ قواعده ضمن مشروع الرّحمة المهداة للعالمين القائمة على وحدة الخالق المعبود الرّحيم ووحدة المخلوق العابد المستقيم[43]

بلاغة النبي عليه الصلاة والسلام في هذا المقام ظهر سموها وحيازتها قصب السبق في جهات متعددة جهة الألفاظ، وجهة التراكيب، والجهة التصويرية.

([43]) – ينظر مقال : النّص النّبوي وسبل التواصل الاجتماعي، للباحثة فضيلة بوخريص: على موقع: https://mqqal.com

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

1. فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1379، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.
2. من بلاغة الحديث الشريف، عبد الفتاح لاشين، كتبة عكاظ المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1402 — 1982.
3. البصائر والذخائر، المؤلف: أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (المتوفى: نحو 400هـ)، المحقق: د/ وداد القاضي، الناشر: دار صادر — بيروت، الطبعة: الأولى، 1408 هـ - 1988 م.
4. مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.
5. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المؤلف: مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: 1356هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي — بيروت، الطبعة الثامنة - 1425 هـ - 2005 م.
6. التواصل الاجتماعي أنواعه — ضوابطه — آثاره — ومعوقاته — دراسة قرآنية موضوعية، مذكرة ماجستير إعداد الطالب: ماجد رجب العبد سكر، إشراف جمال محمود محمد الهوبي، العام الجامعي 1432/2011 الجامعة الإسلامية غزة.
7. مُخْتَصَر صَحِيحُ الإِمَامِ البُخَارِي، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ)، الناشر: مكتَبة المعارف للنَّشْر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2002 م.
8. سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ)، المحقق: شعَيب الأرناؤوط، - محَمَّد كامِل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م.
9. : سنن ابن ماجه ت الأرناؤوط، المؤلف: ابن ماجة - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: 273هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م.

10. سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ)، المحقق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م.
11. النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م.
12. التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: 1182هـ)، المحقق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة: الأولى، 1432 هـ - 2011 م.
13. الفائق في غريب الحديث، المؤلف: محمود بن عمر الزمخشري تحقيق: علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر : دار المعرفة — لبنان، الطبعة الثانية.
14. الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ)، الشارح: محمد منير بن عبده أغا النقلي الدمشقي الأزهري (المتوفى: 1367هـ) ، شرحه باسم «النفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية»، المحقق: عبد القادر الأرناؤوط - طالب عواد، الناشر: دار ابن كثير دمشق- بيروت.
15. معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: 388هـ)، الناشر: المطبعة العلمية — حلب، الطبعة: الأولى 1351 هـ - 1932 م.
16. العرف الشذي شرح سنن الترمذي، المؤلف: محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي (المتوفى: 1353هـ)، تصحيح: الشيخ محمود شاكر، الناشر: دار التراث العربي -بيروت، لبنان
17. الطبعة: الأولى، 1425 هـ - 2004 م.
18. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، المؤلف: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (743هـ)، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض)، الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1997 م.
19. مطالع الأنوار على صحاح الآثار
20. المؤلف: إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي، أبو إسحاق ابن قرقول (المتوفى: 569هـ)، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - دولة قطر، الطبعة: الأولى، 1433 هـ - 2012 م.